الباب الثاني

حلم مصر الخضراء

■■ تعمير الصحراء.. وجعلها كلها خضراء

قدري – من غير حول مني ولا قوة – أن تلوح في سماء حياتي، على فترات متباعدة، أو متقاربة، أحلام، بل الأصوب أن أسمها «رؤى» تظل ماثلة كإشارات مرور عبر مسارها القدري، وهي لا تتحكم في قراراتي المصيرية، ولا تملي عليَّ اختيارات لابد منها عند مفرق طرق، بل غالبًا ما أتذكرها بعد أن يقضي الله تعالى أمرًا كان مفعولاً!

أكتب هذه المقدمة لأذكر رؤية قد تفسرها محاولاتي الصحفية الدءوبة لغزو صحاري مصر التي تخنقها بأشباحها الصفراء كالسوار من كل جانب، وكفاحي مع علماء الزراعة لفك شفرة تعميرها وتخضيرها بأفكار غير تقليدية من «خارج الصندوق» كما يقال، ودأبي على إصدار صفحة «مصر الخضراء»، رغم كل المعوقات طيلة 12 عامًا متواصلة أسبوعيًا من دون انقطاع.

والآن إلى الحلم المنامي الرؤيا) التي داعبت عيناي الغضتين منذ 62 عامًا، وأنا ابن الـ 15 عامًا.

رأيت فيما يرى النائم.. أنني أسير في صحراء غير ذي زرع في طقس شديد الحرارة، وشمس حارقة حولت حبَّات الزلط وقطع الصخور المتناثرة فوق كثبان الرمال إلى جمرات نارية ملتهبة، وكنت أمضي في طريقي فوق الرمال لا ألوي على شيء ومن دون هدف، غير مبالٍ مطلقًا بوحشة المكان أو بالطقس الملتهب الحرارة، وفجأة أرى أمامي رجلاً أعرابي المظهر، يرتدي ثوبًا باليًا كالح اللون مرقّعًا، ومن خلفه كوخ خشبي، تفلّقت عروقه

الخشبية من شدة الحر وقسوة الجفاف، وما أن رآني هذا الأعرابي حتى استغاث بي طالبًا مني الماء بعد أن أوشك على الهلاك من العطش، سمعته يردد كلمة واحدة: ماء.. ماء.. ماء!! وبحركة تلقائية مني التقطت عصا كانت ملقاة على الأرض، وفعلت ما فعله سيدنا موسى، ألقيتها بقوة في مكانها، ثم فوجئت كما فوجئ البدوي بنبع من الماء يتصاعد بقوة اندفاع هائلة شلالاً هادرًا نحو السماء، وتغمر مياهه كل الصحراء، ورأيت البدوي يغترف الماء بكفيه، ويلقي به على أخشاب كوخه المتشققة، ثم أخذ يشرب بنهم شديد، ويغمر جسده وثوبه بالماء.. ولم تمض لحظات إلا ورأيت الكوخ الخشبي وقد اخضرت عروقه المتيبسة وغطتها أوراق خضراء، وما هي إلا دقائق أخرى حتى تحولت الصحاري كلها إلى غابات لا تحصي أشجارها، تلتف أغصانها من شدة كثافتها، وتغمر هاماتها الأوراق الخضراء والزهور وغرائب الثمار، ولم أر إلا حدائق ذات بهجة تغرد الطيور الملونة فوق أغصانها!!

انتهى الحلم المنامي، وتحيّرت كثيرًا في تأويله في سن الـ 15 عامًا، فلم يكن يداعب فكري أو خيالي حينئذ شيئًا عن الصحراء وغزوها وتغطية رمالها ببساط أخضر لا نهاية له، كانت حياتي موزعة الأوقات ما بين المدرسة، والسباحة في عمق ذيل روض الفرج، وممارسة الرياضة السويدية والتمرن بقضبان، وأوزان من الحديد لتنمية العضلات، والتباهي بكمال الجسم، ولم أمارس ذلك في أحد الأندية، بل فوق سطح منزل أحد الأقارب في مثل سني.. إضافة إلى رحلتي الشهرية مع الأصدقاء بالدراجة المستأجرة إلى القناطر الخيرية أو إلى حدائق حلوان اليابانية، ولا يمضي شتاء من دون زيارة منطقة الأهرامات، وتعريض حياتي للخطر بصعود هرم خوفو حتى أعلى قمته.

انتهى ذلك الحلم المنامي ليتحول بعد 38 عامًا إلى حلم واقعي مع إصداري لصفحة «مصر الخضراء» التي كان هدفها الأوحد طي صفحة الصحراء من فوق خريطة مصر، وفتح صفحة الغابات متشابكة الأغصان، صفحة الحدائق ذات البهجة التي تغرد عليها الطيور الملونة.

ولطالما بحثت مع علماء مركز بحوث الصحراء ومركز البحوث الزراعية عن حل حقيقي لشفرة قهر الصحراء وإحيائها من بوارها وموتها، حلّقت معهم مع أفكار ومشروعات قد تفلح في تعمير مئات الآلاف من الأفدنة ولكنها في مجملها كانت أفكارًا داخل الصندوق وليست خارجه تحلّق في آفاق اللامعقول والخيال اللامحدود.. أفكار غير مسبوقة تحطّم المستحيل، وتأخذ بتلابيب الخيال إلى أرض الواقع إلى أن التقيت بعد خروجي للمعاش بعالم قدير التمست من أفكاره حلاً جذريًا لشفرة الصحراء التي أعيت من اقترب منها، العالم هو الأستاذ الدكتور شريف عيسى – الرئيس السابق للمركز القومي للبحوث – إن ابتكاراته ومشروعاته العلمية التي يكفي الواحد منها لتوفير 30 مليار متر مكعب من أعذب المياه، الأمر الذي يجعل مصر خضراء كلها مع التوسع فيها، تقوم على فكرة «خارج الصندوق» لا تعتمد على حفر الآبار، ولا عن تعذيب ماء البحر بالوقود الحفري، أو حتى بالطاقة الشمسية، ولا حتى على استمطار السحب بالطائرات أو بالصواريخ، بل تقوم على محاكاة حقيقية للطبيعة شمس بحر وتبخير رياح مطر، بنظرية علمية لإنشاء السحب الكثيفة الركامية «لا مجرد استمطارها» بتشييد جزر حرارية على امتداد ساحل مصر الشمالي والغربي، وكل سواحل بحريها الأبيض والأحمر تحدث هذه الجزر بما تصبغ بها من مواد ملتهبة على تبخر مياهها المالحة، وتتصاعد الأبخرة وتتكثف لتنشئ سحبًا ركامية، تتقاذفها الرياح كما في الطبيعة، لتنهمر أمطارًا غزيرة تروي ملايين الأفدنة من دون الحاجة إلى شق قنوات وحفر ترع وحفر آبار، وتركيب مضخات وأجهزة رش ري أو تنقيط... إلخ.

ومن خلال بحثي مع علماء الصحراء عن أنجع الوسائل العلمية لغزو الصحراء، أعتقد أنه لا يرقى إلى مستوى هذا الابتكار غير التقليدي سوى جهود خلّاقة تبذل في حصر كل أنواع النباتات على وجه الأرض التي يمكن ريها بماء البحر المالحة وجلبها إلى مصر لزراعة ملايين الأفدنة بها بموازاة البحرين الأبيض

والأحمر، حتى ولو اقتصرت على نباتات لزراعة مراعٍ شاسعة تربى عليها الأغنام والماشية.

وأذكر على سبيل المثال لا الحصر نبات السليكورنيا الذي يتقبل الري بماء مالح جلبه من القارة الأمريكية مركز بحوث الصحراء، وحدثني عنه كثيرًا أحد كبار علمائه أ. د/ عبدالمنعم حجازي، وأفادني بأن المركز قام بتجربة زراعته على مساحة شاسعة بصحراء متاخمة لمدينة «الغردقة» وتم ريها بماء البحر الأحمر، ونجحت ورعى عليها الغنم، حتى أتى محافظ همام جديد بالغردقة، ودمّر المرعى الخصب المزدهر من دون الرجوع إلى مركز الصحراء، ومن دون أي سبب مقنع!!

تحمست بشدة لهذا النبات الملحي المذهل، بعد أن تحسّرت على حرث أرضه وتدميره، وناشدت علماء المركز عدم اليأس، وإعادة التجربة في مكان آخر بعد استيراد تقاوي جديدة من أمريكا، بل وناشدت د. عبد الهادي قشيوط - وكيل مدينة برج العرب العلمية بالإسكندرية - بالطلب نفسه، واستجاب وكلّف أحد العلماء الباحثين بذلك.

ومن عجب؛ فقد حدثني هاتفيًا منذ ساعات (18/ 9/ 2016م) د. إسماعيل عبد الجليل - رئيس المركز السابق - وكنت لم أفرغ بعد من استكمال كتابة هذا الموضوع، وسألني ضاحكًا: هل تعرف محافظ البحر الأحمر الجديد؟

قلت: لا إطلاقًا، ولماذا السؤال!

قال: الرجل أصلاً رتبة عسكرية كبيرة ولا صلة له بالزراعة، ولكنه بمجرد أن تولى منصبه الجديد بالغردقة أقام الدنيا ولم يقعدها - كما يقال- سائلاً عن نبات السليكورنيا، واتصل بكل مسئولي مركز الصحراء طالبًا التوسع في زراعته بصحاري الغردقة، ولشدة اهتمامك بهذا النبات وكثرة حديثك عنه، ظننت أنك على صلة مسبقة به!!

ولما علم د. إسماعيل عبد الجليل أثناء المكالمة الهاتفية أمر

كتابتي ليومياتي التي تحفل بكل جوانب الشأن الزراعي، طلب مني ألا أقذف بها إلى المطبعة، قبل أن يلحق به كلمات عن تجربته الثرية في صفحة «مصر الخضراء» التي كانت تفتح صدرها بلا انقطاع لمقالاته التي كتبها بمداد خبراته وتجاربه العلمية.. وأفلح إن صدق!!

وثمة جهود قد تفوق في أهميتها النباتات الملحية، وتتعلق بتسخير علوم الهندسة الوراثية الحديثة لاستنباط نباتات ومحاصيل تتقبل الري بماء البحر، وقد نجح عالم مصري قدير سبق أن كتبت عن تجاربه هو الدكتور أحمد مستجير في استنباط سلالة قمح تروى به مباشرة، وذلك بعد تجارب مضنية أجراها في معمله لتهجين خلايا القمح، بجينات من نبات البوص الذي رآه وهو في طريقه بسيارته ينمو بكثافة في بحيرة مريوط، وبرغم نشر وبث الصحف والتلفاز لهذا الابتكار العلمي المذهل الذي يمكن أن يغني مصر عن استيراد 60% من احتياجات شعبها، لم تعره أية حكومة مصرية أي اهتمام، وصدق «المتنبي» وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا!!

ومثل هذه التجارب والابتكارات حريٌّ بالدولة أن تشجعها بكل الوسائل، برصد الأموال والجوائز لها؛ لأنها تمثل - وبلا مبالغة - انقلابًا يمكنه تغيير خريطة مصر تمامًا.

وحتى كتابة هذه السطور، لا يزال ابتكار د. شريف عيسى، يحلّق في سماء الخيال العلمي، ولم يحظ بأي اهتمام من الدولة؟ ولا تزال أسراره، المكتنزة بالمعادلات والإحداثيات الرياضية، حبيسة أدراج مكتبه وضلف دواليبه، وفي أحشاء حاسوبه الإلكتروني بحجرته بالمركز القومي للبحوث، ولا يزال العالم المصري الوطني الغيور على مصريته - كما أخبرني - يقاوم محاولات علماء حلف شمال الأطلنطي للحصول عليها - حسب قوله - ولا تزال حكومتنا الرشيدة ترفض مشروع د. شريف التجريبي الميداني الذي لا تتجاوز كلفته 3 ملايين جنيه فقط!! ولا يزال شبح الصحراء الأصفر يفتح فاهه لابتلاع الأخضر واليابس مع بناء سد النهضة الأثيوبي، وتنامي ظاهرة هستيريا بناء

عشرات السدود ليس فقط على أرض الحبشة، بل وفي شتى بقاع منابع النيل، ولا مستقبل لمصر إلا بأن تصبح دولة مطيرة مثل أوغندا والكونجو وأثيوبيا، بعون الله ثم بجهد عقول علمائها، فتصبح مصر هبة العلم لا هبة النيل.

■■ تجربة نموذجية لتعمير الصحراء

واحة الكاموميل في صحراء بلبيس

ضمن جولاتي في شتى بقاع صحاري مصر الغربية والشرقية، لتقصي النماذج البازغة التي أرصّع بها صفحات «مصر الخضراء» لتكون نموذجًا يحتذى لرواد الصحراء الذين ضلَّ كثير منهم السُبل وتسرّبت أموالهم وحبات عرقهم سُدًى بين كثبان رمالها، الأمر الذي دفعهم لمقولة خاطئة تمامًا تدعو لليأس، وهي أن زراعة الصحراء تتطلب عمر نوح، وصبر أيوب، ومال قارون!!

ضمن جولاتي في عام 1994م عثرت على واحة الكاموميل في بقعة صحراوية نائية، تنتمي جغرافيًا إلى صحراء منطقة بلبيس بمحافظة الشرقية، وحينما أذكر كلمة كاموميل، فهي تعني نبات شيح البابونج الذي كان المحصول الوحيد المزروع على مساحة 70 فدانًا، تروى بمياه بئر جوفية، وكنت في ضيافة صاحب المزرعة د. إبراهيم أبو العيش، وزوجته الألمانية، التي فضّلت أن تترك نعيم وترف ومدنية أوروبا، وتخوض مع زوجها المصري أقسى تجربة في تيه صحراوي لم تطؤه قدم إنسان من قبل، وتسكنه الثعابين والعقارب، والثعالب، وتزامنت زيارتي مع اكتمال نجاح التجربة التي عاصرتها وشاهدتها وانبهرت بها، وكنت أحسب أنها «غاية المراد من رب العباد»، ولكني علمت بعدها أنها مجرد الحلقة الأولى في سلسلة تجارب الرجل المغامر الطموح الذي يقدم النموذج المثالي لتنمية صحراوية تحمل طابع القرن

الحادي والعشرين، للتنمية المستدامة التي يتكامل فيها المفهوم الاقتصادي، ويتعزز بالتنمية الاجتماعية والثقافية، وبرغم تسجيلي لإبداعات د. أبو العيش، لم يصل بي الخيال أن منظومته الاقتصادية المتكاملة التي بدأها عام 1977م، سوف تحصد تقديرًا عالميًا كبيرًا، وتنال جائزة نوبل البديلة) عام 2003م.

لقد شاهدت خلال جولتي الصحفية ما لم أره في أي جولة أخرى، رأيت رجلاً عبقريًا يعشق تراب، بل ورمال وطنه مصر الذي أبى إلا أن يأتي بمدخراته المالية من ألمانيا ليلقى بها في رمال صحاري بلبيس، تاركًا حياة الترف والاستقرار والمتع ليخوض تجربة عمره التي تركت على أرض وطنه بصمات واضحة مضيئة لا تُمحى.. وليس في هذا الوصف أدنى مبالغة.. لم يقتصر مشروع د. أبو العيش مجرد مزرعته، يصدّر كل إنتاجها من الكاموميل إلى ألمانيا، بعد تعبئته في أكياس وعلب، بل شملت ثورة اجتماعية وثقافية، تنبع من فلسفة في حنايا رأسه تقوم على بناء الإنسان العامل، واحترام إنسانيته، ورعاية أسرته، رأيت مزارعي الواحة في نهاية أسبوع عمل شاقٍ، يقفون في حلقة بشرية واسعة ينشدون أغاني سيد درويش الوطنية، وبعدها يتم استعراض أهم إنجازاتهم خلال الأسبوع. ويقف د. أبو العيش بينهم يغني معهم على ألحان موسيقى تعزفها فرقة تضم عازفين ألمان، وفي نهاية الاجتماع الدائري، يتم اختيار العامل المثالي الذي يتسلم جائزته المالية، ونيشان التفوق إلى جوار المزرعة، رأيت المدرسة الابتدائية والإعدادية التي تعلم أبناء وبنات المزارعين، رأيت المستوصف الذي يقدم رعايته الصحية للجميع، ودارًا للحضانة، والزوجة الألمانية تبذل كل الجهد وبكل التفاني والتواضع لخدمة الجميع، رأيت المسجد الذي لا تفرق مبناه عن بقية مباني المكان، لا قبة ولا مئذنة ولا أي معلم ديني يميز أي مسجد، وسألت د. أبو العيش عن ذلك مستغربًا بالطبع، فجاءت الإجابة النابعة من فلسفته الذاتية: إن الدين يشمل كل مناحي الحياة، ولا أريد أن أفصله عنها.. العبادة دين، والعمل الزراعي وغيره دين، والرعاية الاجتماعية والتعليمية والصحية دين، وأردت

أن أغرس هذا المفهوم في أذهان كل من يرتاد المسجد بيت الله.

أما عن فلسفته في عالم الزراعة، فقد بدأ مبكرًا جدًا أسلوب الزراعة الحيوية، لم تدخل مزرعته أية مواد كيميائية سواء كسماد أو مبيد، واعتمد على البدائل الحيوية، وأتذكر كيف انحنى أبو العيش على الأرض ليلتقط حشرة مثل «السوسة» ويقبلها، ويقول: إنها رأسمالي الحقيقي؛ لأنها تكافح الآفات وتأكلها وتغنيني عن المبيدات!!

وكان ثمرة ذلك نجاحه الساحق في التصدير لأوروبا التي تمنح الأولوية الأولى للمنتجات الزراعية الخالية من التلوث الكيميائي، وتقبل بارتفاع ثمنه من دون اعتراض، وقد أدرك د. أبو العيش خلال سنوات حياته بألمانيا مدى إقبال الأوروبيين على النباتات الطبية في إطار إبداعاتهم في مجالات الطب البديل، أدرك أنهم يفضلون أكياس الكاموميل شيح البابونج) على المشروبات التاريخية التقليدية كالشاي والقهوة، لذلك بدأ بها وصدرها حيوية نظيفة معبأة، خالية من أي تلوث وتحمل أغلى اسم.. اسم «مصر».

وعند الشروع في تسجيل النماذج الزراعية الصحراوية الناجحة المتميزة في صفحات سيرتي الذاتية الصحفية أبيت فيما يخص نموذج د. أبو العيش خاصة أن أكتفي بذاكرة زيارتي العابرة تلك بعد أن تدافعت لديَّ المعلومات والأخبار عن إسهاماته الوطنية التي شملت معظم المحافظات، وعن التقدير العالمي لإنجازاته الاقتصادية الاجتماعية الثقافية الإنسانية المترابطة الحلقات.. جمعت أبرز وأحدث المعلومات من واقع مشاريع الرجل الذي حصد أعلى الجوائز العالمية، وضنّ عليه وطنه بأي تقدير أو جائزة!

وفيما يلي أهم هذه المعلومات التي استقيتها من مسئولي العلاقات العامة:

منذ عقود ود. إبراهيم أبو العيش ملتزم بتطبيق التنمية المستدامة، والتبادل والتفاهم الثقافي، وحماية البيئة، فقد تم خلق واحة في الصحراء المصرية بها أُناس من مختلف الدول والثقافات يعيشون ويعملون معًا، بالإضافة إلى نهج سيكم الشامل للتنمية،

حيث المعروف عنها اهتمامها بالطبيعة والاحتياجات الفردية في كل أنشطتها وعملياتها، حيث أصبحت المبادرة نموذجًا رائدًا للتعايش السلمي بين الناس والثقافات المختلفة.

– برؤية د. أبو العيش المفعَّمة بالحياة أصبحت إنجازاته مشروع المنارة الذي ينال اعترافًا دوليًا من جميع أرجاء العالم، وتعد نموذجًا يُحتذى به في الدول الأخرى وفي مشروعاتهم التنموية.

– أسس د. أبو العيش مبادرته التنموية الفريدة عام 1977م وهي مبادرة قائمة على منظومة اقتصادية متكاملة، حصدت تقديرًا عالميًا كبيرًا؛ فقد نالت جائزة نوبل البديلة عام 2003م.

– كما حصلت قبل عام على جائزة شواب العالمية التي يمنحها منتدى الاقتصاد الدولي «دافوس» في مجال الإبداع الاجتماعي.

– وحصلت على جائزة «الأرض من أجل الحياة» خلال المؤتمر الذي أقامته الأمم المتحدة لمكافحة التصحر في العالم الذي أقيم في الصين في 27 من يوليو 2015م.

– كما كرَّم وزير الزراعة الألمانية بادن فورتمبيرغ د. أبو العيش ومنحه ميدالية «شتاوفر» الألمانية في 25 من نوفمبر 2015م، ميدالية شتاوفر تم إصدارها في عام 1977م في مناسبةٍ لعرض تاريخ وثقافة عائلة شتاوفر، تلك العائلة المؤثرة النبيلة.

– واعتبر العالم مشروعه نموذجًا مثاليًا لشركات القرن الحادي والعشرين التي يتكامل فيها المفهوم التجاري يتعزز بالتنمية الاجتماعية والثقافية.

– تُعد المبادرة التي تُعنى بالتنمية البشرية منظومة متكاملة تضم كيانات اقتصادية كبرى لها أهداف تنموية، وتعتمد في قطاع كبير من أعمالها على منهج الزراعة الحيوية الذي تهتم بنشره في مصر.

– تنبثق من مشروعه المسمى «سيكم» مجموعة من

مؤسسات المجتمع المدني ومشروعات للتنمية الإنسانية مثل (الجمعية المصرية للزراعة الحيوية.. مؤسسة سيكم للتنمية)، والتي تشرف على عدد كبير من المشاريع التنموية مثل مشروع التنمية الشاملة للتخفيف من حدة الفقر في ريف محافظة الشرقية، ومشروع مراكز الشباب الشامل، ومشروع تمكين المرأة المصرية.

– تضم مبادرتها للتنمية الإنسانية عددًا من المؤسسات التعليمية مثل جامعة هليوبوليس للعلوم والفنون التطبيقية التي تضم أقسامًا للبحوث الطبية والصيدلانية والزراعية والاجتماعية، وحضانة بمدينة بلبيس ومدرسة وفصول البرامج التعليمية والعلاجية للأطفال والبالغين من ذوي الاحتياجات الخاصة، وبرامج لمحو الأمية وآخر للأطفال المتسربين من التعليم ومشروع تحت مسمى أطفال الكاموميل) ومشروع التعليم بالممارسة معهد تعليم الكبار).

– كما توفر المبادرة الإنسانية برامج للرعاية الصحية للعاملين وسكان القرى المجاورة من خلال مركز سيكم الطبي المتكامل.

– لم تكن المنظومة قاصرة على مصر فقط، بل هي على اتصال دائم بما يجري في العالم من تقدم تكنولوجي وعلمي وثقافي.

وأخيرًا.. يمكننا التأكيد على أن الجهود التي بذلت في مصر في مجال استصلاح الأراضي الصحراوية بتطبيق أحدث أساليب الزراعة الحيوية بشكل فعال ساعد المجتمع على تحقيق نجاحات في مكافحة التصحر وتحويل الأراضي الصحراوية الجافة إلى أراضٍ زراعية خصبة، وسد الفجوة الغذائية من خلال أيدي عاملة مُدرّبةً بمراكز التدريب المهني التابعة للمؤسسة، والعمل على تحقيق ذلك بأسلوب علمي يعتمد على البحث والتطوير.

أثناء كتابتي لهذا الفصل عن رجل الأعمال الاجتماعي الإنساني المذهل أبو العيش) – اللي أكّل الناس عيش – كما سمعت المزارعين يقولونها في مزرعته القريبة من مدينة بلبيس، اتصلت

هاتفيًا بأحد رجاله محمد رمضان) لتزويدي ببعض المعلومات عن واقع مشروعه الراهن لا الماضي الذي تذكرته، وأخبرني لحظتها أنه في سويسرا، ولم يقصر كما لم تقصر الموظفة نهى حسين في إمدادي بما طلبت.. ولقد قام رمضان من دون أن أعلم بالاتصال بـ(أبو العيش) وأفادته باتصالي به؛ فقد فوجئت بعدها ببضعة أيام بهاتفي الجوال يرن، وإذ بصوت أبو العيش) مرحبًا وعارضًا بشدة لقاءه بي بعد يوم 22 يوليو 2016م بعد عودته من سويسرا، وبالطبع أبديت استعدادي للقاء في أي مكان يحدده، ثم أعدت الاتصال بـ محمد رمضان، وأخبرته بأنني أرسلت له عدد أوراق إلكترونيًا) عرضت فيها بعض أفكار مستخلصة من خبرات رحلتي الصحفية، ليطلع عليها أبو العيش) قبل اللقاء.. وبكل أسف فقد داهم المرض الرجل ولم يتصل بي ولم تتم المقابلة، والآن أعتقد أن من حق قارئ هذه المذكرات أن يلم ببعض هذه الأفكار، لعل أحدها يصيب الهدف وينفع الناس مشروعات أبو العيش) تصب في رحاب الأورجانيك) وأورجانيك يعني النقاء والصحة والطهر، والنأي عن أدران التلوث ومن وجهة نظري – وقد أكون مخطئًا – أن إمبراطورية أبو العيش لم تستثمر هذه الميزة النسبية جيدًا، أو كما تستحقه من خطورة وأهمية!!

إن «الميديا»، ومدونات النت والتواصل الاجتماعي، وأحاديث الرأي العام المتداولة تعج بأخبار ومعلومات عن تلوث النيل والبحيرات، وعن استفحال ظاهرة ري الفلاحين لحقولهم بمياه المجاري والصرف الزراعي والصناعي، الأمر الذي يفسر من دون ترجمان استشراء داء السرطان اللعين، الذي كان قاصرًا منذ عقود زمنية على كبار السن، وأصبح حاليًا متفشيًا وبعنف بين الأطفال الذين تعج بهم مستشفيات خاصة بهم تجمع من أجلها ملايين التبرعات، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأعتقد أن مشروعكم «شركة سيكم» لم يستثمر بالشكل الوافر فكرة «الأورجانك» تجاريًا، لذا أقترح البدء في إقامة سلسلة أسواق «سيكم أورجانيك» قد نبدأ بسوق واحدة في منطقة راقية يباع فيها

معظم السلع «الأورجانيك» الخالية من التلوث من خضر وفاكهة وحبوب ولحوم ومياه ومعلبات... إلخ.

وقد تكتفي «سيكم» بداية بتخصيص أجنحة خاوية بمنتجاتها الأورجانيك مع توزيع نشرات نمطية موجزة عن المزايا الفريدة لها.

وثمة اقتراح مكمل ثقافي تدعم رسالة الحرب ضد التلوث والدعوة للأورجانيك يكمن في تخصيص جائزة أبو العيش لأفضل كتاب أو عمل صحفي أو إعلامي عن حماية البيئة المصرية من أدران التلوث.

> **والفكرة الثانية: واحة أبو العيش**

الفكرة في الأساس بيئية صحية سياحية تجارية، جذورها تتغذى من فلسفة رائد سيكم في الحياة وفي الاقتصاد والوطنية والعولمة.

عملاء الواحة أو بتعبير أفضل المستفيدون منها أو المستمتعون بها هم:

1- المصريون/ الموسرون/ المثقفون.

2- الإخوة العرب.

3- الأوروبيون/ الأمريكيون وغيرهم.

فلسفة الفكرة:

الاستمتاع بالطبيعة الخلابة في أحضان بيئة بدائية) بدوية مثلاً أو ريفية أو فرعونية، والاستفادة بكل الوسائل المعترف بها في مجالات الطب البديل الحديث والقديم، وتطبيق كل شروط (الأورجانيك) في المأكل والمشرب، ومنع الخمور والتدخين ما أمكن.

التنفيذ:

1- اختيار مكان ذو طبيعة فاتنة وطابع بدائي، بعيدًا عن مصادر التلوث سيوة مثلاً أو الفرافرة، أو الساحل الشمالي، أو

جنوب سيناء، أو وادي النطرون، أو الأقصر، أو دهشور، أو حلوان والينابيع المعدنية، الكبريتية، وهكذا).

2- إنشاء قرية واحة) أورجانية ذات طابع فطري بدائي، وتشييد مبانٍ ذات طابع نوبي ذات قباب) على نهج فلسفة حسن فتحي الشهيرة، أو ذات طابع فرعوني، على ألا تقل مساحة القرية أو الواحة عن عشرين فدانًا وليتفنن الخبراء في إعداد كل وسائل المتعة والصحة والجمال والخضرة، مع الالتزام بطابع الفطرة البدائية.

■■ واحة خاصة للمسنين

فكرة أخرى مماثلة ذات هدف نوعي مختلف ومتخصص:

تطبيق كل القواعد المقترحة سابقًا، مع إضافة كل وسائل العناية الصحية اللازمة.

الاستعانة بآراء الخبراء والأطباء لتحقيق ذلك.

المستفيدون - هدف المشروع هم:

1- أرباب المعاشات المسنون المتقاعدون ذووا الدخول المرتفعة، والأثرياء من دول أوروبا وكندا الذين يعانون من طقس البرد القارص والجليد، ولا مانع من استضافة أرباب المعاشات المقتدرين من المصريين والعرب.

فكرة أخرى لمشروع الواحة.. عالمية، وغير مسبوقة

واحة سيكم بسانت كاترين أو واحة طور سينين

لي بحث في موضوع منطقة سانت كاترين نشرته في فصل مستقل خاص بكتابي الذي عنوانه «شمس مصر تشرق من جديد».

وأنوه بإيجاز شديد إلى أن منطقة سانت كاترين/ طور سينين/ مقدسة بشهادة كلام الله (ع) / القرآن الكريم، وأقسم به الله تعالى قبل أن يقسم بمكة المكرمة: {وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ

ٱلْأَمِينِ}، وبرغم ذلك يتغافل المسلمون عن قدسيتها، ويقدسها المسيحيون، حيث دير سانت كاترين الأثري الذي يستقبل حجاجًا من شتى بقاع الأرض!

وما تغافل عنه المسلمون شجرة زيتون طور سينين التي ذكرها كتاب الله وأثنى على زيتها الذي يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور، ووصل الأمر إلى أن الله تعالى شبّه نوره بنور زيت هذه الشجرة المقدسة، التي احتكرها كهنة دير سانت كاترين (اليونانيون) وأكثروا منها واستخلصوا منها زيتها الذي يعتبرونه مقدسًا وحكرًا عليهم، يتداون به من كل الأمراض، حتى المستعصية ويرفضون تمامًا أن يبيعوا أو يهدوا منه ولو جرامًا واحدًا بحجة أنهم يهبونه لرهبان الأديرة الأرثوذكسية الرومية اليونانية.

ونسيت أن أذكر قول المولى (ع): {وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ} (المؤمنون: ٢٠).

{۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ} (النور: ٣٥).

وقد يكون سر النور الكامن من هذا الزيت مرجعه إلى تجلي الله تعالى إلى جبل طور سينين بنوره الذي جعله دكًا حينما طلب سيدنا موسى (\) رؤية رب العزة، الأمر الذي لم يحدث في الشرق ولا في الغرب، ولا في أي بقعة على وجه الأرض حتى أصبحت شجرة الزيتون الكائنة في هذه الأرض أيضًا لا شرقية ولا غربية، أي لا مثيل لها في الكون! ولما أُشِعّت الأرض بنور الله؛ نفذت الشجرة من ترابها فاكتسبت خاصية وميزة هذا النور الذي لا تحصي أسراره ومنافعه، ولقد أطنبت في ذكر كل ذلك من قبل!

■■ إقامة واحة نموذجية بسانت كاترين

بنفس النهج البيئي الصحي النقي الذي ذكرته سابقًا، إضافة إلى المبادرة بتنفيذ وتحقيق أمنية عمري في الإكثار من هذه الشجرة المقدسة بالوسيلة التي ذكرتها آنفًا، على أن ينفصل مشروع الواحة عن مشروع استصلاح آلاف الأفدنة بوادي فيران بالمياه الجوفية وزراعتها بأشجار الزيتون، وإقامة معصرة لاستخراج زيته المقدس الذي يمكن تصديره للعالم الإسلامي بأعلى الأثمان، يكفي فقط لذلك طباعة الآية 35 من سورة النور التي تكشف سره وتعتمد قدسيته وبركته!

تأسيس عمل صحفي أو إعلامي باسم الصحراء الخضراء)

من دون إطناب أو تكرار من المهم أن أذكر أنني عندما أصدرت صفحة «مصر الخضراء» عام 1992م كنت موقنًا بأن مصرنا الراهنة هي مصر الصفراء التي يخيم شبح صحرائها الأصفر على 92% من مساحتها مع كل التفاؤل)، كما علمت من العلماء؛ فإن مصر الصفراء تعتبر عالميًا من أشد بقاع العالم جفافًا وعطشًا.

ولقد أصررت وأكدت على ضرورة التركيز على أن تُعنى هذه الصفحة بالمشروع الصحراوي، وعدم اعتبارها مجرد صفحة زراعية فلاحية!

وأوضحت أن الصفحة تصدر لتمحو من الوجود المقولة التي

ترددت على ألسنة رواد الصحراء المصريين: "زراعة الصحراء تتطلب: عمر نوح، ومال قارون، وصبر أيوب».

كما أوضحت أن هذه المقولة المتشائمة نتجت من أتباع هؤلاء الرواد الأوائل كل أساليب الزراعة المصرية التقليدية بالدلتا والوادي، وهو خطأ فادح ومدمر؛ لأنك حينما تنتقل من زراعة الدلتا إلى زراعة الصحراء، فكأنما انتقلت من كوكب الأرض إلى كوكب آخر!

وذكرت، كما اعتدت أن أذكر دائمًا، أن زراعة الوادي يمكن أن تقتصر على خبرة الفلاح المصري المتوارثة عبر سبعة آلاف سنة، أما زراعة الصحراء فإن هذه الخبرة تخربها وتدمرها؛ لأنها تبدأ وتبدأ فقط من حيث انتهى العَالِم في معمله.. وحينئذ قد يُدر فدان الصحراء المستهان به أضعاف فدان الوادي الخصيب.

وأوجزت فذكرت أن صفحة الصحراء الخضراء المقترحة سوف تفك نحس زراعة الصحراء وتقدم أسبوعيًا معلومات زراعية إرشادية علمية لزرّاع الصحراء الذي يختلف في نوعيته عن زارع الوادي؛ لأن معظمهم من الطبقة المتوسطة المتعلمة والمثقفة، الأمر الذي يحقق رسالة الصفحة بيسر وقبول.

بعد هذه المقدمة التاريخية لتجربتي الصحفية الشخصية الأهرامية أقدم اقتراحي لكم بفكرة تأسيس أو إعداد أو إصدار أو بث كيان صحفي أو إعلامي باسم الصحراء الخضراء، تتبنى المفاهيم والمبادئ نفسها التي تحدثت عنها آنفًا وهي الإرشاد الزراعي العلمي لزارع الصحراء حتى لا تتسرب أمواله عبثًا بين كثبان رمالها وركام صخورها، وكثيرًا ما مازحت علماء الصحراء قائلاً لهم: إن وجود 94% من مساحة مصر صحراء عار عليكم، ورغم كل جهودكم العلمية فإنني أعتقد أنكم لم تفكوا بعد شفرة الصحراء، وفي اعتقادي أن فك هذه الشفرة قد يكون بتكنولوجيا فائقة القدرة لتحلية مياه البحر لإنتاج مياه عذبة متدفقة بسعر متدنٍ للغاية يسمح بالزراعة لا لمجرد الشرب لا يزيد على نصف أو ربع دولار للمتر المكعب أو أرخص من ذلك، ولِمَ لا، وهل هناك

سقف لطموحات العلم؟!

وقد يكون بتكنولوجيا النانو والهندسة الوراثية لاستنساخ نباتات وأشجار تروى بماء البحر مباشرة، وقد تكون بالبحث عالميًا عن نباتات خلقها الله تروى بماء البحر.. من دون جهود علمية، وأذكر أن معلومات وصلتني تؤكد أن الإنجليز عمّروا صحاري أستراليا بنبات القطف) المصري المنتشر بالساحل الشمالي الغربي، وأقاموا به ملايين الهكتارات من المراعي التي تُربى عليها قطعان هائلة من الخراف تصدر للعالم أجمع.

فكرة أخيرة.. مدرسة ومركز تدريب:

أقترح أن يُربي أبو العيش جيلاً بل أجيالاً من شباب مصر من أبناء الفلاحين والعمال وبسطاء الناس على تقنيات وأساليب ومستحدثات الزراعة الصحراوية، التي لا يتعلّم خريجو كليات الزراعة أو مدارسها حرفًا واحدًا منها!!

ويتبلور الاقتراح في إنشاء مدرسة زراعة متوسطة، أو إذا بلغ الطموح مداه فلنقل إنشاء كلية زراعة صحراوية بجامعة هليوبوليس التابعة لسيكم.

على أن تكون طواقم التدريس بها من علماء العلوم الصحراوية، سواء من مصر أو أمريكا أو.... إلخ.

وثمة اقتراح آخر موازٍ وهو: إنشاء مركز تدريب زراعي متخصص في زراعة الصحراء، يخرج كوادر فلاحية نموذجية جديدة وغير مسبوقة، تتخطفها الدول العربية أو النامية التي تغلب على أرضها الطبيعة الصحراوية.

وكلمة أخيرة..

في مفاجأة لم تخطر على بال، فقد رحل د. أبو العيش صانع كل هذه الأمجاد عن عالمنا الفاني في 15/ 6/ 2017م، وقد يدهش القارئ إذا علم أنه رحمة الله عليه) قرأ كل كلمة في هذا الفصل بعد أن أرسلته إليه إليكترونيًا)، ولم أكن أدري أنه يعاني سكرات الموت.. وعلمت من أحد رجاله المقربين إليه أنه

أبدى رضاءه عن كل ما قرأه، ولكنه ترك توصية لي بضرورة توضيح أن كل إنجازاته ونجاحاته كانت لا تنبع من مجرد رغبة في الربح وكثرة في المال، بقدر ما تنبع من فلسفة تستمد قيمها ومبادئها من تعاليم الإسلام ومن حضارة وحكمة مصر الفرعونية، وهأنذا قد نشرت وصيته وحققت رغبته.

ويبقى عتاب!

لقد أكرم العالم د. أبو العيش بأرفع الجوائز وعلى رأسها جائزة نوبل، وماذا قدم له وطنه، لا شيء ولا ميدالية من نحاس.

أعتقد أنه قد آن الأوان لتكريمه ميتًا بعد أن لاقى الجحود حيًا!!

■■ ميلاد مصر الخضراء

خلال رحلة عملي الصحفي بالأهرام، قدر الله تعالى أن أزور معظم بقاع صحاري مصر الشرقية والغربية، والتي لم تشمل واحاتها وحقولها التي تزينها أشجار النخيل وحسب، بل وشملت حقول بترولها المكتشفة المنتجة، وأخرى كان يجري العمل في التنقيب بها، وكان من الممكن أن يحمل اسمها اسمي كما وعدني رئيس شركة كانت تحفر بئرًا بمنطقة «الناشفة» في صحراء تبعد 200 كيلو متر غرب محافظة المنيا، لولا سوء الحظ، وأن المنطقة هي بالفعل اسم على مسمى، فلم تسفر أعمال الحفر عن نقطة بترول واحدة ولا حتى نقطة ماء، ورحلت الحفارات العملاقة، وظلت المنطقة ناشفة ناشفة، وقد سجلت رحلتي تلك بمجلة «بناء الوطن» وكانت الرحلة الصحفية بصحبة مدير تحرير المجلة «محمود سالم» (-).

ولم تكن رحلاتي الصحراوية مجرد أداء مهني ينتهي بانتهائها، ولكنها كانت تحقيقاتها المصورة التي نشرت معظمها □بالأهرام» تصب في هم كبير يشغلني وهو وجوب، بل حتمية تخضير صحاري مصر التي تشغل 95% من مساحتها على الخريطة، وكنت أعصر عقول علمائها وخبرائها بحثًا عن حلول علمية □خارج الصندوق» لإزالة لونها الأصفر الكالح رمز الموت وإحلاله باللون الأخضر رمز الحياة والذماء!! وكنت أمزح مع بعضهم بقولي لهم: □أنتم المسئولون عن التصحر الذي يخيم على معظم أراضي مصر، ولو ضاعفت علمكم وجهودكم ما بقي شبر واحد أصفر!! وكنت أصرخ في البرية: أعلم أن مياه النيل التي تروي بالكاد ثمانية ملايين من الأفدنة، لا تكفي بالطبع لري مليون كيلو مترًا مربعًا من صحرائنا القفرة التي تُعد بالفعل من أشد بقاع الأرض جفافًا وتصحرًا، ولكن ما لا أعلمه كيف يعجز العلم الذي هبط على القمر وطرق أبواب المريخ وشتى كواكب مجموعتنا الشمسية عن الاستفادة من تريليونات الأمتار المكعبة من مياه البحرين الأبيض والأحمر التي تحيط بكل صحارينا من كل الجهات؟ أعلم أنها مالحة لا تصلح للري، وأصرخ في البرية هل يعجز العلم عن فصل الملح عن الماء، كما تعلمنا الطبيعة التي تبخر الماء المالح وتصعد به سحبًا في السماء، ثم أمطارًا وأنهارًا عذبة على الأرض؟

وأعلم أن تحلية مياه البحر ليست مستحيلة فهي تتحقق في كل البلدان العربية التي تعاني من الجفاف، ولكن بتكلفة باهظة بحرق البترول لتوليد الطاقة وبكميات تكفي فقط لإرواء الظمأ!! ولكن ما لا أعلمه: كيف يعجز علماء مصر الأشاوس عن ابتكار تكنولوجيا فائقة الدفع لتحلية مياه البحرين بطاقة الشمس التي لا تكف عن السطوع طوال أشهر السنة وبتكلفة لا تزيد على نصف جنيه للمتر المكعب، وهو الحلم الذي راود أحد كبار علمائنا وهو □د.مصطفى كمال طلبه» لإنتاج أنهار من المياه التي تروي الحقول الصحراوية وليس فقط للشرب وإرواء العطش؟

وأصرخ في البرية، أين علماء صحارينا ليقوموا بحصر كل

نباتات الكرة الأرضية التي خلقها الله تعيش على ماء البحر، وتصلح لتخضير الصحراء المصرية بحقول المراعي وعلف الماشية، بل ولغذاء ودواء البشر، ولقد تم تجريب زراعة إحداها في حقل إرشادي بالغردقة، وحرثتها معاول القرى السياحية! ! لتموت التجربة في مهدها! !

وأصرخ في البرية.. أين علماء الهندسة الوراثية الذين بمقدورهم تحوير وتطوير جينات محاصيل تروى بماء البحر، كما فعل ولأول ولآخر مرة العالم المصري الفذ د. أحمد مستجير الذي أخضع جينات قمح ليروى بمياه بحيرة ادكو المالحة وماتت التجربة بوفاته رحمه الله) .

وحدث خلال عام 1992م وأنا غارق في همومي الصحراوية، أن تلقيت بالبريد وبشكل دوري كتيبات إعلامية إسرائيلية مطبوعة على ورق مصقول فاخر، وتتضمن معلومات دعائية عن كل قطاعات الكيان الصهيوني الصناعية والعلمية والتعليمية والزراعية، وقد ركزت عيناي على الأخيرة، قرأت مقالاتها واطلعت على صورها لأزداد همًا وحسرة.. إن هذه الدويلة الصهيونية التي لا تجري تحتها الأنهار مطلقًا ولا يربو نصيبها من الماء العذب على المليارى مترًا مكعبًا تتفوق صادراتها الزراعية صادرات أم الدنيا التي تحصل على أكثر من 90 مليار مترًا مكعبًا، ولا أقول 55.5 مليار متر فقط! هذا بخلاف ما تجود به السماء من أمطار وسيول شتوية وما يتفجر من آبارها! !

وكجملة اعتراضية أذكر أنني كنت في زيارة صحفية لموقع محطة استقبال القمر الصناعي المخصص لرصد ظاهرة التصحر في شمال أفريقيا والشرق الأوسط عمومًا.

وسألني المسئول عنها: ماذا تفضل رؤيته من خلال هذا القمر؟

قلت له: إسرائيل! ! فرد قائلاً وهو يلوح بيده: «ما بلاش»! قلت له: ولماذا «بلاش»؟ قال: لأنك ستتحسر، قلت له: لا بأس من التحسر، ما زلت مصرًا على طلبي وكان أن سلط هذا

المسئول عدسة قمره على الدويلة الصهيونية لأشاهد بقعة خضراء وسط محيط أصفر، وأضاف قائلاً: للأسف فحينما ترى اللون الأخضر ينتهي؛ فهذه نهاية حدود إسرائيل!!

وتنتهي هذه الجملة الاعتراضية الكبيرة لأكمل الحديث عن النشرة الصهيونية الدعائية الفاخرة الورق والطباعة، لأقرأ مع كل أعدادها التي وصلتني عجبًا، وأزداد حسرة وأمتلئ حسدًا!!

وفيما يلي نماذج مما قرأت بالنشرة، وأيضًا ممن سمعت من بعض خبرائنا الذين زاروا الكيان الصهيوني:

1 - كما نعلم؛ فإن فلسطين المحتلة تشتهر ببرتقالها الذي يتمتع بشهرة عالمية، وقد توسعت إسرائيل في غرس أشجاره وتصدير ثماره، ولكن اليهود وبحسبة بسيطة أدركوا أن ثمرة الكيوي التي تشتهر بها دول كثيرة منها نيوزيلندا تحتوي الواحدة منها على فيتامين «سي» يعادل ما بثمرة البرتقال الواحدة 15 مرة»!!

وليس هذا وحسب، بل إن ثمرة كيوي واحدة أغلى من خمسة برتقالات! وكان أن طرحت تل أبيب السؤال: الأفضل بهذا المنطق أن نزرع كيوي بدلاً من البرتقال، خاصة وأن الطلب الأوروبي عليه يفوق الطلب على البرتقال، وكان أن أتى يهود نيوزيلندا بشتلات الكيوي، ولكن ظهرت مشكلة وهي أن هذه الفاكهة تتطلب درجات حرارة منخفضة بأكثر من جو فلسطين المحتلة، ولم يقفوا كثيرًا عند هذه العقبة، وتغلبوا عليها بالبحث العلمي، وأصبح الكيوي الصهيوني من صادرات إسرائيل المهمة!!

2 - وكما نعلم؛ فإن مراعي فلسطين المحتلة تزدهر بمناطق شتى منها بالمراعي، خاصة في الشتاء، حيث ترعى قطعان الأغنام والماعز والبقر.. وحضر يهود جنوب أفريقيا ليفرضوا معادلة أو حسبة بسيطة.. ولماذا الغنم والبقر ولدينا «النعام»؟

إن اقتصاديات تربية نعامة واحدة تفوق اقتصاديات ثلاثة بقرات وعشرة أغنام، فلماذا لا نربي النعام وهو الأفضل؟ وأضافوا قائلين عن مميزات هذا الطائر الجميل.. إنه لا يعيش إلا في

الصحراء، بل ويبتلع حبيبات زلطها لتساعده على الهضم، وعلفه غاية في التواضع؛ فهو يعتمد على البرسيم الحجازي الذي تجود زراعته في الصحراء ولا يتطلب مياه ري وفيرة.

وماذا أيضًا؟ إن ريش النعام يباع وله ثمن، ولحمه الخالي تمامًا من الكوليسترول لحم فاخر وعليه طلب شديد في الأسواق الخارجية، ويباع بضعف سعر أفخر لحم بقري!!

وماذا أيضًا؟ ضع الريش واللحم جانبًا؛ لأن كنز النعامة الحقيقي يكمن في جلدها الذي إذا تم دبغه دباغة خاصة به، يمكن تصديره لينافس في صناعة الحقائب والملابس الجلدية والأحذية، جلود الثعابين والتماسيح!!

لذا ترتفع أسعار جلود النعام في شتى دول العالم بما يدخر دخلاً مغريًا للغاية.

وكان أن اتخذ القرار سنقيم مزارع تربية النعام بدلاً من الأغنام، وسننشئ المدابغ لتجهيز جلده للتصدير، ولكن ظهرت عقبة كأداء.. إن جنوب أفريقيا وهي الأولى عالميًا في تربية النعام ترفض تمامًا تصدير النعام الحي حتى لا يتم الإكثار منه ومنافستها، ووجد يهود جنوب أفريقيا الحل الجهنمي، لقد جمعوا أكبر عدد ممكن من بيض النعام الملقح، وأودعوه في حقائب السفارة الإسرائيلية الدبلوماسية التي يحظر تفتيشها، وتم إرساله إلى تل أبيب ليتم تفريخه، وتربيته، وتوسعت مزارعه حتى أصبحت جلود ولحوم النعام الصهيوني تنافس الجنوب أفريقية في الأسواق الأوروبية!!

3 - وحفلت نشرة «قوس قزح» تلك بمعلومات عن التوصل لتكنولوجيا جديدة لتحلية الماء الملح بالطاقة الشمسية وبتكلفة نصف دولار للمتر المكعب، وعن أنواع جديدة من الأشجار التي عرفتها مصر مؤخرًا مثل الجوجوبا والموريندجا ذاتي الزيت النادر الذي يستخدم في تشحيم صواريخ الفضاء وأشجار أخرى مثل الأفوكادو والنيم... إلخ، ومعلومات عن تطبيق أحدث تقنيات الزراعة التي

توصل إليها علماء ولاية كاليفورنيا التي تقارب في طقسها طقس الشرق الأوسط ومعلومات عن الثروة السمكية التي تتربى في مزارع صحراوية تروى بمياه الآبار أو البحر.. تفوّق اليهود في الزراعة الصحراوية لإدراكهم الزراعة الصحراوية لا تفك طلاسمها إلا أبحاث العلماء، وقد طبقوها بالحرف الواحد على عكس أوضاعنا، حيث لا تغادر أبحاث علمائنا في كثير من الأحيان أدراج المكاتب وأضابير الأرشيف، وقد علمت معلومة من مصادر موثوقة أن أول وفد إسرائيلي زار مصر بعد إعلان سياسة التطبيع كبند من بنود معاهدة السلام، رفض أن تقتصر زيارته على رؤية الأهرامات والمتحف المصري والكرنك، وأبدوا رغبتهم في زيارة معهد بحوث الصحراء بقصر الأمير يوسف كمال بضاحية المطرية، وأبدوا لهفتهم الشديدة على الاطلاع على أبحاث علمائنا المكدسة بأرشيف المعهد منذ إنشائه أبان عهد الملك فؤاد!

في المقابل أذكر أن رواد استصلاح الصحراء في مصر اشتكوا لي أثناء جولاتي الصحفية الصحراوية من الخسائر التي لحقت بهم والمعاناة الشديدة التي يتكبدونها وكلهم ذكروا عبارة يائسة رددوها وكأنها حكمة مقدسة تقول: □زارع الصحراء يجب أن تتوافر لديه (1) عمر نوح (2) مال قارون (3) صبر أيوب!!» وكنت أدرك أن هذه المقولة خاطئة تمامًا، وكنت أقول لهم: إن زراعة الصحراء يجب أن يتوفر لها شيء واحد هو التكنولوجيا التي تطبق أحدث الأبحاث العلمية، وأنه إذا كانت الزراعة في الوادي تبدأ من حيث انتهت خبرة وحضارة الفلاحين المصريين عبر سبعة آلاف سنة؛ فإن الزراعة في الصحراء تبدأ من حيث ينهض العامل في معمله.. وكأني استشعرت خطورة، بل وضرورة تزويد المزارع الصحراوي بإرشاد علمي يعتمد على أحدث وسائل التكنولوجيا، لوضع نهاية لمقولة نوح وقارون وأيوب الخاطئة تمامًا، والتي تؤدي إلى إحباط مخطط مصر لأجيالها القادمة لتعمير وزراعة 95% من أرض مصر، وهي مساحة الصحراء كقضية حياة أو موت.

وكان أن أوجزت كل هذه المعاني في اقتراح بإصدار صفحة

أسبوعية أتولى أنا تحريرها باسم "مصر الخضراء"، وذلك في عام 1992م، وتركت ورقة بمشروعها بمكتب رئيس التحرير "إبراهيم نافع"، وفي اليوم التالي هاتفني مدير الإعلانات "عادل عفيفي" يدعوني لفنجان قهوة بمكتبه ليدور بيننا الحديث التالي:

– مبروك "مصر الخضراء" هذه هي ورقة مشروع صفحتك الزراعية، وهذا هو توقيع رئيس التحرير بالموافقة، وبتحويلها عليَّ..

– الله يبارك فيك، ولكن لماذا أخذت الورقة طريقها إليك لا إليَّ أنا كاتبها؟

– ألا تعلم أسلوب "الأهرام" في إصدار مثل صفحتك، أنها لا تصدر وترى النور إلا إذا تم تمويلها إعلانيًا بحيث تحتل الإعلانات بها 65% من مساحتها هذا هو المتبع!

– يعني ذلك أنني لن أحرر إلا ثلث الصفحة فقط.. إيه.. الله غالب.. كما يقول الليبيون!

سوف أنتظر حتى تجلب إعلاناتك.. شكرًا للقهوة والسلام عليكم.

مهلاً مهلاً أرجوك اجلس، فحديثنا لم ينته بعد.. أرجوك اسمعني، نحن لا نجلب إعلانات الزراعة! كيف وإدارة إعلانات الأهرام أكبر قوة إعلانية ضاربة في الشرق الأوسط.. بربك قل لي من يأتي بإعلانات الزراعة إذن، هل تأتي من وكالة إعلانية خارجية؟

لا إنما تأتي من المحررة السيدة نهال؛ لأنها وكما تعلم مندوبة "الأهرام" لدى "د. يوسف والي" باعتباره أمينًا للحزب الوطني، وهو في الوقت نفسه نائب لرئيس الوزراء، وزير الزراعة واستصلاح الأراضي.. هيا لا تضيع وقتك واتصل بنهال..

وكان أن تسلمت رسالتي الموقع عليها بالموافقة من رئيس التحرير، والتقيت السيدة نهال وحكيت لها ما دار من حديث مع

مدير الإعلانات.. قرأت الورقة واطلعت على تفاصيل الصفحة المقترحة «مصر الخضراء».

وقالت: مبروك.. لكي تصدرها لابد من عقد تمويلي من وزارة الزراعة، وأنا متأكدة أن د. والي سوف يرحب بالفكرة.. اطمئن.. سأبذل جهدي وأرد عليك بعد غد.. وكان أن أتت بعقد سنوي أعتقد أنه بقيمة مليوني جنيه، وفوجئت بإصرارها على كتابة اسمها مع اسمي على رأس الصفحة!!

وكان أن وافقت مرغمًا؛ لأن رفضي كان يعني أمران؛ إما أن يتوقف مشروع الصفحة، وإما أن تصدر باسمها وحدها؛ لأن «الأهرام» لن يستغنى ببساطة عن هذا المبلغ المغري.. وبذلك تحملت صدمتين: الأولى اختصار الصفحة إلى ثلث حجمها، والثانية مسألة الاسم؛ أما الثالثة فقد كدت ألا أتحملها، حيث قالت الأخت نهال: «على فكرة».. د. يوسف والي لا يوافق على أن تتخصص الصفحة في أمور الصحراء فقط، ويريدها صفحة تعبر عن وزارة الزراعة عامة، وقال: أنا وزير الوادي كما أني وزير الصحراء، أي استصلاح الأراضي وعمومًا لن أعترض طبعًا على تناول قطاع الصحراء!

قلت: وكل عوامل الإحباط تخيم على عقلي ووجداني.. بكل أسف تم بذلك نسف تسعة أعشار فكرة الصفحة، وفكرت فعلاً أن أتخلى عنها لولا تأكيد الزميلة على قول الوزير، أنا أيضًا وزير الصحراء، ولن أعارض الكتابة عنها.. وعدت إلى رشدي، وقلت «نهايته» على بركة الله.. والله غالب، وكان أن تم الاتفاق بيننا على أن تتولى هي جلب المطلوب نشره من وزارة الزراعة، وتتولى أمور الاتصال بالوزير.. وأبديت رغبتي أن أكف تمامًا عن دخول الوزارة ولقاء الوزير، على أن أتفرغ أنا للمهمة الأصلية التي نذرت نفسي لها وهي الحوار مع علماء مركز البحوث الزراعية ومركز بحوث الصحراء لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من هدف الصفحة وهو خلق جسر ممتد بين العلماء والمزارعين، خاصة مزارعي الأراضي الصحراوية الذين لمست فيهم أنهم جميعًا من المتعلمين القادرين على استيعاب الإرشادات العلمية الزراعية.

وتتابع إصدار الصفحة أسبوعيًا، طيلة 12 عامًا من دون أن أدخل حجرة د. يوسف والي ولا مرة واحدة.. وحدث مع بدء تنفيذ مشروع توشكى أن أصدرنا ملحقًا دوريًا من عدة صفحات عن المشروع القومي، وتم جمع كل هذه الصفحات في كتاب عنوانه: «مصر التي في خاطري حمل أيضًا اسم نهال شكري إلى جانب اسمي، وكتب إبراهيم نافع مقدمة طويلة له».

وختامًا.. إذا طرحت تقييمًا أجتهد بأن يكون أمينًا لصفحة «مصر الخضراء» أقرر وكما ألمحت آنفًا؛ فإن عوامل الإحباط التي لازمت إصدارها قد كانت بمثابة فرملة) للهدف الذي وضعته في البداية وهو كما كررت ذكره، منح زارع الصحراء إرشادًا علميًا يعظم من أرباحه ويقيه مزالق الفشل إذا ما حذا حذو زراعة الوادي الخصيب الأسود، وبرغم ذلك فقد كافحت ما استطعت لتحقيق ذلك، وبحمد الله تمكنت من توطيد علاقتي بمعظم علماء الزراعة وبكثير من رواد الصحراء.. ولا أخفي بالطبع أن العيب الرئيس للصفحة (ولم يكن لي ذنب في ذلك) أنها أخذت «مسحة» إعلانية، وأنها تأثرت سمعتها بارتباطها بوزارة الزراعة، وبالدكتور يوسف والي الذي لاكت الألسنة سيرته السياسية لتبني وزارته منهج التطبيع مع إسرائيل، ولكونه من قيادات الحزب الوطني، و.. و.. إلخ. أما عن تقييمي للرجل، فهو على المستوى الشخصي نظيف اليد تمامًا غير ضالع في الفساد الذي يصل منسوبه في كل أجهزة الدولة آنئذ «لمستوى الركب»، وبرغم أن وزارته لم تنج من الداء الوبيل، بل وكانت على رأسه وبمنطق المسئولية التضامنية الجماعية، وأن خطايا المرؤوسين المتشربة لا تعفي رئيسهم من المسئولية، وبمنطق سيدنا عمر، إذا عثرت بغلة في العراق... إلخ، فهو يقينًا ضالع في مستنقع الفساد بالتبعية حتى لو اتسم كما ذكرت بنظافة اليد، كما أنه يتحمل تمامًا أوزار فساد نظام «مبارك» السياسي بلا جدال في ذلك.

وأما عن تطبيع وزارته مع إسرائيل فأعتقد وقد أكون مخطئًا.. كان قطاع الزراعة هو المستهدف كمن الذي «رسى

عليه المزاد» في أمر التطبيع المفروض علينا بعد توقيع اتفاقية السلام، وبالتالي حمل على كاهله هذه المهمة البغيضة، وعمومًا لا أستطيع أن أحكم على الرجل عن قُرب؛ لأنني كما ذكرت ولا أبالغ مطلقًا في ذلك؛ فإن قدمي لم تطأ عتبة حجرة مكتبه طيلة السنوات الإثنى عشر التي صدرت فيها «مصر الخضراء» بانتظام ومن دون توقف!

وبرغم ذلك لم تخل الساحة الصحفية من أقاويل تدور حول أن العبد لله كان «محسوبًا» على والي، ولا ألوم من قال هذا، فالأمور تبدو كذلك فعلاً من السطح، وحول انتفاعي من عطايا مكتبه المالية، أو المادية العينية، كمنح أراضي استصلاح وخلافه، فأشهد الله تعالى وأنا لست بعيدًا عن مثواي الأخير أنني مبرأ من ذلك تمامًا.. وأتحدى أن يثبت أحد أنني منحت بوصة واحدة لا مجرد قيراط من وزير الزراعة، ولو كان حدث فلم يتأت ذلك إلا بوقوفي في طابور المحررين لطلبها من خلال فرص تعرضها نقابة أو مؤسسة الأهرام، والتزم بدفع كل الأقساط المفروضة.

وأما عن عطايا «والي» المالية، فلم أكن أعلم عنها شيئًا إلا مؤخرًا بعد تقاعدي وبعد الندوة التي شاركت فيها بمدينة الإنتاج الإعلامي؛ ففي لقاء تليفزيوني جمعني مع زميل صحفي وسياسي مشهور أكد لي وللحاضرين أن «أحمد الليثي» الذي تولى منصب وزير الزراعة خلفًا «لوالي» قد أطلعه على كشوف توثق هذه المنح المالية التي منحها والي للصحفيين، وتقدر بآلاف الجنيهات.

وقد يكون كلامه أصلاً مناف للحقيقة، المهم أنني سألته على الفور، وقد صوبت بعض الأنظار إليَّ.. قل وبصراحة، هل كانت كشوف هذه المنح تذكر اسمي، وإذا حدث فكم من المال كان من نصيبي؟

فقال: «لا.. ولا الهوا».. وكان أن قلت أنا: الحمد لله الذي عافانا.

وعودة إلى صفحة «مصر الخضراء» فلقد أدت واحد على عشرة من رسالتها التي رصدتها لها، وكما ذكرت بسبب عامل أهرامي

مثل قرار رئيس التحرير بتحويلها إلى صفحة إعلانية، وقرار والي بعد أن منحها مئات الآلاف من الجنيهات سنويًا بقصر رسالتها على الإعلام عن أخبار وإنجازات وزارة الزراعة..

وكثيرًا ما كنت أسأل نفسي قبل غيري ماذا كان يمكن أن يكون حال الأراضي الصحراوية المستصلحة ورواد الصحراء، لو كانت «مصر الخضراء» وغيرها من الإعلام الهادف المماثل، قد شكلت منابر ترشد هؤلاء الرواد لأنسب الأساليب الزراعية المستندة إلى أحدث ما وصل إليه علم الزراعة، وماذا لو كانت أدت دورها لتكون جسرًا قويًا يربط بين علماء الزراعة والصحراء وبين مزارعي الصحاري؟!

الأمر المؤكد المستخلص من هذه التجربة أن عوامل إحباط النظم والمجتمعات التي ترزح تحت عناكب البيروقراطية والديكتاتورية هي الغالبة وهي التي تؤدي إلى خنق كل المبادرات المبدعة وإلى إحباط كل شريف أو مبتكر، بل وتقضي على الشفافية وتلقي دور السلطة الرابعة الصحافة) في مراقبة السلطة التنفيذية، كل ذلك في ظل مناخ لا تتنفس فيه الحرية أو النتيجة الحتمية هي التخلف!!

وما لم أذكره أن إصداري «لمصر الخضراء» أسبوعيًا لم يكن عملي الوحيد، فلقد كنت سنة إصدارها في عام 1992م نائبًا لمدير التحرير، عضوًا بالدسك المركزي وكنت أكتب في صفحة الفكر الديني بانتظام وأذكر أن الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ) انتقدتني بشدة، قالت يا أستاذ خميس أنت تحيرني، إما أن تكتب في قضايا الإسلام، أو تكتب عن الفول والبصل!! وبصراحة لم ألتفت إلى مقولتها برغم وجاهتها، وهي تكمل انتقادها فقد كنت أكتب في قضايا الثقافة، حتى إن الشاعر فاروق جويدة حينما أصدر صفحته «دنيا الثقافة» لم يختر نائبًا له إلا العبد لله، وحدث أيضًا أن اختارني مرسي عطاالله وحدي نائبًا له حينما أسس الأهرام المسائي، وكنت أكتب التحقيقات الصحفية، وأسهم في أعمدة الرأي مثل «وجهة نظر».. ومع ذلك وفيما سأذكره تناقض يحسب عليَّ ولي.. كنت أنصح تلاميذي بالتخصص ومنهم «ممدوح الولي» الذي

كان يتدرب على يدي بجريدة النور، نصحته بشيئين إلى التخصص في الاقتصاد وإلى إجادة التعامل مع الكمبيوتر، وقد كنت رشحته للعمل بالأهرام لما لمسته منه من خلق وتدين ومهارة صحفية، ووفقه الله وتم تعيينه بعد عام، وقد التزم «ممدوح» بنصيحتي، وتوالى صعوده في سلم المهنة حتى أصبح رئيسًا لمجلس إدارة الأهرام، ونقيبًا للصحفيين، وأصبحت خبرته الاقتصادية تملأ أثير الفضائيات.

واستدرك في مجال النقد الذاتي فأسجل أنني رغم شمولية معظم ما أكتبه، فقد كنت أركن خلال عقود من حياتي الصحفية إلى قطاعات اقتصادية بعينها، مثل قطاع الري، حيث ظللت شهورًا أكتب عن السد العالي كما ذكرت سواء في مجلة الإذاعة والتليفزيون أو في الأهرام، وتخصصت في مجلة «بناء الوطن» لفترات عدة في شئون العمال، ثم في قطاع الصناعة، ثم في قطاع البترول، ولكن كانت مشكلتي أنني أمّل كل تخصص وأنتقل إلى تخصص آخر، وهي مشكلة شخصية حيث كنت أشفق على نفسي من أن أحبسها في نطاق واحد، وبالتأكيد أعترف بالخطأ، والصواب ألا يصبح الصحفيين كالشعراء في كل وادٍ يهيمون!!

■■ رسالة دكتوراه عن مصر الخضراء

في يوم من أيام ديسمبر 2003م زارني بمكتبي بالأهرام مهندس زراعي من خبراء الإرشاد الزراعي وقدَّم لي كتابًا كبير الحجم نسبيًا، مجلد بغلاف أسود داكن ليس مدونًا عليه أي عنوان، أو أي كلمة، طويت الغلاف الأصم، لأواجه بصفحة بيضاء ليس عليها كلمة مطبوعة، بل وجدت في أعلى يسارها كلمات بخط اليد تقول:

بسم الله الرحمن الرحيم.. إلى رائد الصحافة المتخصصة الأستاذ/ خميس البكري.. أهدي إليك هذا العمل المتواضع الذي كنت فيه سببًا.. شكرًا لك.. والتوقيع: د. محمد فاروق.

وأقلب الصفحة لأقرأ على يسارها بداية الكتاب.. وكم أدهشني

وأثلج صدري عنوانه: "تحليل مضمون صفحة مصر الخضراء بصحيفة الأهرام اليومية في ضوء الخطة الخمسية للتنمية الزراعية (97/ 1998 - 2001/ 2002م).. رسالة دكتوراه مقدمة من محمد فاروق أحمد محمد الجمل.. بكالوريوس في العلوم الزراعية وإرشاد زراعي واجتماع ريفي كلية الزراعة جامعة القاهرة 1987م.. وماجستير في العلوم الزراعية إرشاد زراعي كلية الزراعة جامعة قناة السويس 1994م - استيفاء للدراسات المقررة للحصول على درجة الدكتوراه في فلسفة العلوم الزراعية (إرشاد زراعي) قسم الاجتماع الريفي والإرشاد الزراعي كلية الزراعة - جامعة القاهرة 2003م، وأقرأ: المشرف الرئيسي للرسالة أ. د. هدى الجنجيهي - أستاذ ورئيس مجلس قسم الاجتماع الريفي والإرشاد الزراعي بزراعة القاهرة.

نهضت على الفور من مقعدي يعتريني سرور غامر، لأشد على يدي ضيفي د. محمد فاروق، ولأقدم له عبارات التهنئة على إنجازه العلمي، وفي الوقت نفسه مبديًا استغرابي الشديد لعدم لقاءه لي أثناء إعداد الرسالة لأمده بمعلومات بالتأكيد لا تتوافر لدى مصادره الأخرى!!

وكذلك استغرابي الشديد من عدم دعوتي لحضور جلسة مناقشة الرسالة.. وقد كنت كما كتب هو في إهدائه لي "كنت فيه سببًا"؟ وكان أن رد على علامات استفهامي وتعجبي بكلام غير مقنع، لا أذكره الآن بعد أكثر من 12 عامًا من اللقاء، وقال لي وأنا أقلب مسرورًا في صفحات الكتاب التي تزيد على 200 صفحة: لقد اخترت صفحتك مصر الخضراء من دون المجلات والجرائد والصفحات والنشرات الزراعية؛ لأنها متميزة وتعتبر مرجعًا مهمًا لدى كل رجال الإرشاد الزراعي، ولأنها تصدر كل سبت ولمدة عشر سنوات متوالية من دون توقف، وسوف تقرأ في مضمون رسالتي أن "مصر الخضراء" حازت بعد كل الاستيفاءات الإحصائية التي أجريتها على المركز الثالث من بين ثمانية مصادر، وثمة ملاحظة من عندي لا مبالغة فيها أسجلها مقدمًا بعد

قراءتي للرسالة وهي أن المصدرين السابقين كانا عبارة عن نشرات إرشادية رسمية لا يصح مقارنتها بصفحة صحيفة سيارة يقرءوها مئات الألوف، وإذا قسناها بمعيار الصحافة الزراعية، فهي رقم 1 صحفيًا، وأضاف د. فاروق قائلاً: وستقرأ أن صحيفة تعاون الفلاحين حازت المرتبة الأخيرة رقم 8.. وسوف تقرأ تأكيد الرسالة على أن صفحة "مصر الخضراء» تتمتع بقبول وجاذبية وإثراء في محتواها الزراعي والتنموي، وأنها مسايرة للمواسم الزراعية وللأحداث الزراعية الجارية والتغيرات العالمية في ذات الوقت، وعليه فقد شكلت مصدرًا متقدمًا في أهميته النسبية بين مصادر المعلومات المدروسة الثمانية، وأنه برغم حداثة إصدار الصفحة بجريدة الأهرام العتيقة، فقد أثبتت جدارتها وحازت على قبول واهتمام الإرشاديين الزراعيين بها كمصدر لمعلوماتهم الزراعية.. كما ستقرأ كيف أشادت الرسالة بصحيفة الأهرام التي كانت سبّاقة في إصدار مثل هذه الصفحة التي أفادت المزارعين والمرشدين الزراعيين، وقدمت خطة التنمية الزراعية الخمسية، وتركني د. فاروق، على وعد بلقاء آخر بعد قراءتي لرسالته العلمية القيمة.. وأخلو بنفسي لأكتم ألمًا دفينًا على إثر كلامه عن أسبقية الأهرام!!

وكان حري بالباحث المتفائل أن يقابلني قبل إعداد رسالته لأخبره بالحقيقة المرة.. فالصفحة لم تكن تخطر على بال أحد من مسئولي الأهرام، وأردت لها عند تقديم فكرتها ومشروعها أن تكون منبرًا علميًا فريدًا للإرشاد الزراعي العلمي الصحراوي وضوءًا ساطعًا كاشفًا لمزارع الصحراء الجديد الذي يغرق في ظلمات أساليب زراعة الوادي التقليدية التي تضر بالصحراء ولا تنفع، هذا المزارع الجديد الذي تعتصره آلام الخسارة المالية الفادحة لعدم اتباعه لتقنيات الزراعة العلمية التي لا غنى عنها في استصلاح الصحاري، والذي ظل ينتحب مرددًا مقولة خاطئة تمامًا تقول: "زراعة الصحراء تتطلب مال قارون وصبر أيوب وعمر نوح!!».

ولقد نقلت أهداف الصفحة هذه إلى رئيس التحرير إبراهيم نافع،

في عام 1992م، فوافق على أن تكون صفحة إعلانية تابعة لمدير الإعلانات عادل عفيفي، آنئذ، الذي ارتأى بعين المنفعة المالية أن ألجأ إلى الزميلة ندهال مندوبة لدى د. يوسف والي، باعتباره أمينًا عامًا للحزب الوطني، فضلاً عن كونه نائبًا لرئيس الوزراء، ووزيرًا للزراعة واستصلاح الأراضي، وكان له عادل عفيفي) ما أراده وجلبت الزميلة الأموال المطلوبة لإصدار الصفحة التي أصابها التشوه عند ولادتها، لعدة أسباب:

1- لأنها تحوَّلت بقرار رئيس التحرير إلى صفحة إعلانية تحتل الإعلانات فيها مساحة لا تقل عن ثلثيها.

2- رفض د. والي الممول) أن تتخصص الصفحة الوليدة في الإرشاد العلمي الزراعي، وأصر على أن تكون زراعية عامة، وصوتًا صحفيًا لأعمال وزارة الزراعة وكان هذا حقه باعتباره الممول) .

3- فرض رئيس ثانٍ للصفحة لا يتفاعل مع رسالة مؤسسها، وبرغم المثل الشهير «المركب اللي عليها ريسين تغرق»؛ فإن الصفحة بعون الله لم تغرق وعاشت 12 عامًا، واستحقت نيل درجة الدكتوراه!! وبعد عون الله تعالى وفضله كان للصبر وللإصرار وللجهد ولإنقاذ ما يمكن إنقاذه من رسالتها الأصلية، السبب في استمرار صدورها وتفوقها على كافة الإصدارات الصحفية الزراعية، كما أكدت رسالة الدكتوراه والفضل والمنة لله تعالى.

وكان أن بادرت «الأهرام» السباقة) كما قررت الرسالة إلى كتابة شهادة وفاة الصفحة الخضراء بمجرد جفاف منبعها المالي بعد خروج د. والي من وزارة الزراعة، أو بعدها بقليل!!

وفي قراءة موجزة جدًا وسريعة لمحتوى الرسالة، خاصة فيما يتعلق بتحليل المضمون الزراعي نقرأ الآتي:

(1) غطت صفحة «مصر الخضراء» الموضوعات الزراعية الرئيسية المتعلقة بأهداف خطة التنمية الزراعية (97/ 1998 -

2001/ 2002م) لعامي الخطة المدروسة (97 و98) بشكل عالٍ وهي ستة موضوعات:

1- موضوعات الإنتاج النباتي.

2- موضوعات اقتصاديات الزراعة.

3- موضوعات الوقاية النباتية والمكافحة.

4- موضوعات العلاقات الدولية والتعاون الزراعي.

5- موضوعات الإنتاج الحيواني والداجن.

6- موضوعات البحث العلمي الزراعي.

(2) فيما يتعلق بتغطية الصفحة لموضوعات أنشطة ومجالات الإرشاد الزراعي؛ فقد كانت مرتفعة في مجالات الإنتاج الحيواني والنباتي والتسويقي بصفة عامة، ومنخفضة في موضوعات الثقافة السكانية، والأسرة الريفية، والمحافظة على البيئة من التلوث.

(3) نالت موضوعات الإنتاج النباتي اهتمامًا عاليًا وكانت على الترتيب: الخضر والفاكهة ومحاصيل الحبوب والألياف، والمحاصيل السكرية.

(4) تركز اهتمام الصفحة بموضوعات العناية البيطرية، والدواجن، والماشية والإبل عن باقي موضوعات الإنتاج الحيواني الأخرى.

(5) اهتمت الصفحة بموضوعات اقتصاديات الزراعة بشكل عام، وكانت أكثر موضوعاتها السياسات الزراعية والتسويق وموضوعات الائتمان الزراعي.

(6) غطت الصفحة وبشكل كبير الإعلانات الزراعية والأخبار الإدارية والدعاية للمعارض الزراعية في حين كان الاهتمام أقل لبريد القراء.

(7) تبين من الدراسة أن الشركات الزراعية ووزارة الزراعة واستصلاح الأراضي ومركز البحوث الزراعية وبنك التنمية

والائتمان الزراعي شكلت أهم وأكثر المصادر بالنسبة للموضوعات المتعلقة بالتنمية الزراعية مقارنة بالمصادر الأخرى.

(8) اعتمدت الصفحة بصورة كبيرة في تغطيتها للموضوعات الزراعية على الخبر والإعلان والمقال، ونالت بقية الأشكال الصحفية نسبًا منخفضة وبفارق كبير.

(9) وفيما يتعلق بوظائف المضمون الزراعي، فقد ركزت الصفحة على الأخبار، ثم الإعلان، وذلك على حساب التوجيه والإرشاد والتفسير.

وعن أسباب قراءة الإرشاديين الزراعيين للصفحة هي معرفة التوصيات الزراعية لحل المشكلات الزراعية القائمة، والاستزادة من المعلومات الزراعية المطبوعة المدروسة.

كما تبين أن وضوح أفكار الموضوعات الزراعية الواردة بالصفحة كان أهم خصائص محتوى الصفحة، ثم أهمية الموضوعات، ويأتي في المرتبة الثالثة حداثة المعلومات، وأن هناك تفاوتًا في مستويات الرأي حول مناسبة هذه الخصائص؛ فكانت الأفكار واضحة إلى حد ما والموضوعات مهمة، وحداثة المعلومات (أحيانًا).

وتبين أن أكثر من نصف المبحوثين تقريبًا يستخدمون ما يرد في الصفحة في عملهم الإرشادي، وأن ربعهم لا يستخدمونها.

وعن مستوى التعرض للصفحة أوضحت الدراسة الميدانية المتعلقة بمحرري المطبوعات الإرشادية الزراعية، أن نصف المبحوثين تقريبًا يتعرضون للصفحة بدرجة عالية، وأن ثلث المحبوثين كانوا متوسطي التعرض.

وعن مناسبة الجوانب التحريرية بصفحة مصر الخضراء أكدت آراء غالبية المبحوثين أن الكلمات التي تحرر بها الصفحة مألوفة لديهم، وأن المعنى واضح ومفهوم، وأن الكلمات بسيطة، وأن الجمل تتميز بالوضوح والبساطة، كما أن فقرات الصفحة متسلسلة المحتوى وذات حجم مناسب، والتميز والفصل فيها مناسب، وأن

أسلوبها في التحرير مشوق ومناسب وعند مستوى المبحوثين.

وكان من أهم توصيات الدراسة ضرورة بناء جسور من التنسيق والتكامل بين الإرشاد الزراعي كمنظمة تعليمية إعلامية وبين جريدة الأهرام صفحة مصر الخضراء) لتنمية مزيد من العلاقات الفعالة لإعلام كل منهما الزراعي.

وكلمة أخيرة من كاتب هذه السيرة الذاتية.. ما زالت الساحة الإعلامية الزراعية لإصدار صحافة زراعية للإرشاد العلمي الزراعي الصحراوي خالية، وبرغم نجاح صفحة «مصر الخضراء» التي استحقت أن تكون عنوانًا لرسالة دكتوراه؛ فإنها لم تحقق سوى عُشر طموحاتي في تخضير 93% من أرض مصر الصحراوية، لتصبح بحق مصر الخضراء.

وأكرر القول: إن زراعة الأراضي الصحراوية تبدأ من حيث ينتهي العَالِم في معمله، وكانت هذه هي رسالتي التي عصفت بها رياح الإعلانات والبيروقراطية وضيق أفق بعض المسئولين!

■ حقيقة حزب مصر الخضراء!

بسبب خفافيش الإحباط التي أحاطت بصفحة مصر الخضراء الأهرامية التي ذكرتها آنفًا، عقدت العزم على أن أخوض بأهدافها المفقودة بحر السياسة، وشرعت بالفعل في إنشاء حزب سياسي يعبئ وجدان وعقل وإرادة الإنسان المصري لوضع هذه الأهداف موضع الحضور أولاً على رأس أولويات العمل الوطني حاضرًا ومستقبلاً، وموضع التنفيذ ثانيًا بالنضال من أجل تقلد زمام السلطة لترى النور فتصبح مصر خضراء كما نحلم أن نراها!

ومصر الخضراء.. الحزب السياسي تقوم فكرة تأسيسه على تبني قضية البحث عن نقطة الماء العذب التي جعل المولى (ع) منها كل شيء حي، وليعلن حالة السخونة القصوى في العقل والوجدان المصري لمواجهة شبح الفقر المائي الذي يهدد كل برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية بالاضمحلال.

وأكد حزب «مصر الخضراء» على أن نصيب مصر من مياه النيل وهو 55.5 مليار م3، لن يلوح الأمل في زيادته خلال العقود القادمة، بل إن الأمر يتطلب عبقرية دبلوماسية لمجرد الإبقاء على هذا القدر من الماء مع تمرد دول منابع النيل على الاتفاقات المبرمة معها أبان عهود الاستعمار الأوروبي، ومع هستريا بناء السدود في أثيوبيا وأوغندا! وطرح الحزب أفكارًا جريئة مستقبلية لترشيد المتاح من ماء الري والشرب، وللاتجاه بكل الزخم السياسي الشعبي، والإبداع العلمي المصري لتحلية مياه البحرين الأحمر والأبيض بتقنية مصرية خالصة تيسر الحصول على مليارات الأمتار المكعبة بسعر اقتصادي يقارب تكلفة سعر مياه النيل التي يقدر سعر المتر المكعب منها 40 قرشًا والمأمول كما ذكر د. مصطفى كمال طلبة أن تتكلف صفيحة الماء العذب المحلى من البحر بالطاقة الشمسية إلى خمسة قروش للصفيحة!

ويؤمن الحزب أن هذا التحدي الهائل لا يمكن أن يتحقق بعقل بارد وفكر بيروقراطي ووعي غائب، وإنما يتطلب شرارة سياسية متواصلة لقدح زناد عقول مصر العلمية، واستنهاض همم علماء مصر، وخوض معركة وطنية تستدعي أمجاد الكفاح الوطني المقدس؛ لأن الحزب يؤمن بأن معركة مصر القادمة لإزالة ملوحة ماء البحر بالطاقة الشمسية أو بالطاقة الذرية كإضافة، وبكل الطاقات الإبداعية العلمية لا تقل بحال عن معركة السد العالي التي أثمرت عشرة مليارات متر مكعب إضافية من ماء النيل، وسوف تتفتق عقول مصر حتمًا عن تدفق أنهار عذبة من البحرين.

ومن بين عشرات البنود التي يضعها برنامج الحزب ننتقي بندين مهمين:

1 - العدالة الاجتماعية:

إذا كانت الأفكار والمبادئ الاشتراكية والشيوعية قد تراجعت مع نهاية القرن العشرين، فلا ينبغي أن تتراجع روح العدالة الاجتماعية، وعودة النظم الجائرة التي يستبد بها الأغنياء السادة

بالفقراء المستضعفين في الأرض، وثمة طرح فكري قابل للنقاش يقدمه الحزب لصون قدسية العدالة الاجتماعية، وهو يحوي أفكارًا تستمد نورها من مشكاة تراث شعب مصر الأصيل العريق ومن قبس ديننا الحنيف، ويطالب الحزب في هذا الإطار بإنجاز برامج تنمية تحقق للمواطن البسيط حد الكفاية، لا مجرد حد الكفاف، وليتفق أهل الحل والعقد في مصر على تحديد هذا الحد الذي يمثل سقف الكرامة للإنسان الذي كرَّمه الله تعالى، ولا نسمح بثراء فاحش يقابله فقر مدقع، انطلاقًا من الحديث الشريف: «ما افتقر فقير إلا بشح غني».. تشريع القوانين بما يرضي الله تعالى.

يطالب الحزب بالإبقاء على النص الدستوري.. الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع، وبتفعيل هذا النص واحترامه وعدم المساس به أو التحايل عليه أو إهماله، بمراعاة تنقية القوانين الجنائية والاجتماعية الحالية من أية نصوص تتصادم مع الشريعة ويشير البرنامج إلى دراسة صدرت من لجنة الشئون الدينية بالمجالس القومية المتخصصة التي شكلت عقب اغتيال الرئيس السادات أكدت أن السلاح الباتر للقضاء على الإرهاب المتستر بالدين هو تطبيق روح الشريعة الإسلامية؛ لأن الإسلام ينفي خبثه، ووسطية الدين الحنيف تنبذ كل أشكال التطرف فلا إفراط، ولا تفريط، ويلفت الحزب النظر إلى أن إهمال قوانين الشريعة يمثل تطرفًا، ولا يمكن مواجهة التطرف المتستر بالدين بتطرف مماثل يخلع رداء الدين!!

■■ آراء من أجل مصر الخضراء

كما سبق أن ذكرت آنفًا؛ فإن شغلي الشاغل في صفحة «مصر الخضراء»، بل وفي صفحات تحقيقات الأهرام التي كنت مسئولاً عنها مع محمد زايد، كان «زبدة» مصر من علماء الزراعة، خاصة علماء الصحراء، بل ومن الجيولوجيين الذين يدركون أسرار صحارينا، وحتى لا تتبخر آراؤهم الذهبية في كهوف النسيان.. أعرض جولة سريعة عبر عقولهم المبدعة:

1 - **د. رشدي سعيد:** الصحراء ليست مجرد مجال للتعدين فقط، وليست مجرد فراغ مخصوم من مساحة الخريطة المصرية، وإنما هي نعمة كبرى لمصر؛ لأنها مكان رحب للتوسع العمراني لشعبها المتكاثر بأعداد غفيرة.

مصادر المياه الجوفية، أفضل استغلالها في تعمير المجتمعات الجديدة لا في الزراعة، بعد أن رأينا كيف فشلت مشروعات الوادي الجديد القائمة على الآبار الارتوازية، غير المتجددة المياه، وأقدم لمصر اقتراحي لتفريغ محافظات الدلتا أخصب بقاع الأرض، من المصانع، وجعلها محمية زراعية وتهجير 40 مليون مصري إلى الصحراء في غضون 30 سنة.

.. من المهم للغاية مع وصول مصر إلى مستوى الفقر المائي، خطة شاملة وعاجلة لتعظيم الاستفادة من رصيدنا من ماء النيل الذي حددته الاتفاقات بـ55.5 مليار م3، فنحن نستخدم 85% من ماء النيل، أي ما يوازي 45 مليار م3 في الزراعة، وإذا علمنا أن الناتج القومي من الزراعة تبلغ قيمته 50 مليار جنيه؛ فسنجد أن متر المياه المكعب يعطينا جنيهًا واحدًا تقريبًا، وفي هذا خسارة اقتصادية بكل المقاييس، والقضية خطيرة وتستدعي هي الأخرى مشروعًا قوميًا تحشد من أجله كل عقول مصر لترشيد الري واختيار المحاصيل قليلة الري، أو التي تروى بالمياه ذات الملوحة، والمحاصيل غالية القيمة، والاتجاه للصناعة والتعمير على الآبار الجوفية للشرب منها، لا للزراعة، وتشجيع البحوث العلمية للحصول على موارد مائية جديدة غير تقليدية.

2 - **د. إسماعيل عبد الجليل:** أتمنى أن يأتي يوم نترجم فيه بالعمل، وليس القول رؤيتنا للبحث العلمي على أنه مكون مهم للأمن القومي.

أتمنى أن تحظى الصحافة الزراعية بمزيد من اهتمامنا وأن تستوعب الشركات الزراعية أهمية دعمها كما هو الحال في أمريكا وأوروبا، حيث تصدر المئات من الجرائد والمجلات الزراعية بتمويل من المزارعين والمستثمرين.

بالرغم من أن مصر تعد من أكثر مناطق العالم قحولة وجفافًا طبقًا للتقسيم العالمي حيث لا يتجاوز نصيبها السنوي من الأمطار 50 مللي، وتمثل الصحراء 90% من إجمالي مساحتها؛ فإنها تملك ثروة نباتية تضم أكثر من 2500 نوع نباتي وبعضها نادر جدًا.

القرن الحالي هو قرن استثمار الطاقات الوراثية الكامنة في الخلية الحية، ولذا فإن التنوع الوراثي للكائنات الحية هو مصدر الإبداع والابتكار للقرن الحالي، ويقدر القيمة العالمية للثروة النباتية البرية التي نقتلعها بالبلدوزرات لإقامة القرى السياحية، بما يعادل 33 تريليون دولار، بينما بلغ الناتج القومي العالمي حوالي 18 تريليون دولار، أي أن الخدمات المجانية التي تقدمها لنا النظم البيئية الطبيعية توازي تقريبًا ضعف عائد الأنشطة الاقتصادية العالمية التي يصنعها الإنسان.

في الركن الشمالي الشرقي من أرض سيناء وعلى مساحة عشرين فدانًا، تم إنشاء أول مركز علمي عصري لبحوث الصحراء بمنطقة الشيخ زويد، يضم أول بنك للجينات لحفظ كنوزنا النباتية في مصر، يواكب أحدث تكنولوجيا العصر في زراعة الصحراء.

3 - **د. عبد السلام جمعة أبو القمح المصري»:**

علماء مصر توصلوا إلى إنتاج معدلات القمح ذات السنبلة الطويلة وحققوا أمل أستاذي البروفيسور نورمان بورلوج الحائز على جائزة نوبل للسلام لجهوده العلمية في نشر الثورة الخضراء.

تحقيق مصر لنسبة 55% إنتاجًا مصريًا في الرغيف تعتبر إنجازًا خارقًا بكل المقاييس، وإذا تعمدنا أن نكتفي ذاتيًا من القمح فسوف نضطر إلى زراعة خمسة ملايين فدان مرة واحدة بدلاً من 2.4 مليون فدان تزرع حاليًا عام 2003م)، وستكون النتيجة ضياع كل المحاصيل الشتوية، ومنها محصول الفول الذي أفسد تمامًا دورة القطن وأحدث خللاً شاملاً في الزراعة الشتوية.

إذا كنا نتحدث عن مجموعة الحبوب الرئيسية باعتبارها مكملة لبعضها في إحداث الأمن الغذائي وتضييق الفجوة الغذائية؛ فقد

تمكن علماء مصر من تحقيق أكبر نسبة عالية على الإطلاق في إنتاجية الأرز (4.8 طن/ فدان، عام 2000م، وبإنتاج كلي 6.02 مليون طن) والتفوق نفسه تحقق في الذرة والذرة الرفيعة والشعير.

ثمة خطة لخلط رغيف الخبز بدقيق الذرة ليصل الاكتفاء الذاتي إلى 75%، وأنا لا أرى أي مانع أن يكون الرغيف كله وبنسبة 100% من دقيق الذرة، فهناك قابلية لهذا الخبز في مصر.

4 - **المهندس عصام راضي:**

السد العالي بنك مصر المائي) بفضل الله تعالى أنقذ مصر خلال سنوات عشر عجاف من 1978 - 1988م) بعد أن سحبنا من رصيده حتى مرت الأزمة مع وصول الفيضان العالي عام 1988م، وكانت الأزمة قد وصلت إلى حد أن منسوب بحيرة السد وصل إلى 152.5 مليار م3 بمحتويات 41 مليار م3، مع العلم أن السعة الحية للسد الحالي أقل منسوب لها 147 مترًا بمحتويات 31 مليار م3، وكان هذا معناه أن المتاح لنا استعماله كان عشرة مليارات م3 فقط، ولولا أننا وفرنا 7.5 مليار م3 بفضل الله، ثم بعبقرية مدرسة الري المصرية، وبفضل السد العالي، لكانت مجاعات النيل قد أدركتنا.

5 - **د. أحمد مستجير:**

تجربة التهجين الخضري التي وفقني الله فيها - يمكن أن تطوي وإلى الأبد صفحة المجاعات في كوكب الأرض قاطبة.. إن فكرة التهجين الخضري هي في اعتقادي الهندسة الوراثية لصالح الفقراء، وعن توصلي إلى سلالات قمح تروى بماء البحر، فالقصة ببساطة أنني كنت مسافرًا ذات يوم إلى الإسكندرية بالطريق الصحراوي، وشاهدت في البحيرات المالحة مساحات شاسعة من نبات الغاب البوص) وهو نبات من العائلة النجيلية (التي تضم الأرز والقمح).

وتساءلت مع نفسي: لماذا لا نهجنه خضريًا بالأرز والقمح

ونستنبط سلالات يمكنها تحمل الملوحة؟ وطلبت من د. أسامة الشيمي أن يجري التجربة، وكان أن ذهلنا من نجاحها المذهل، فقد كانت النباتات الهجينية تعطي بذورًا تتراوح في الحجم ما بين حبات الأرز والقمح، وبين حبات بذور نبات الغاب الرهيفة، وكان هناك مع الأرز ما يقرب من 12 شكلاً وبدأ مشروعنا عمليًا، وفي عام 2002م كان إنتاج إحدى السلالات وأفضلها هو 3.6 طن للفدان في أرض بلغت الملوحة فيها 31 ألف جزء في المليون، وهي في ماء البحر 32 ألف جزء.

التهجين الخضري يتم بأن ندمج خلايا من كل النوعين القمح مثلاً والبوص) بصدمة كهربائية فيموت منها ما لا يستطيع تحمل الملوحة، ويبقى لنا ما يتحملها ويتم تكرار العملية جيلاً بعد جيل حتى نحصل على سلالة أرز أو قمح وبها من البوص» الجينات التي تساعد على تحمل الملوحة!

6 - **د. عمر دراز:**

أعتقد اعتقادًا جازمًا أن الصحراء من صنع البشر، فهم الذين أهملوا نباتاتها وأشجارها وشجيراتها وتركوها نهبًا لعوامل الرياح والحرارة والصقيع، وتركوها نهبًا للرعي الجائر حتى اندثر وبالتدريج غطاؤها الأخضر الذي هو بمثابة جلد الإنسان، وعندئذ أحرقت أشعة الشمس هذه التربة الخالية من العشب والشجيرات فالتهبت وتقيحت وتحولت الأرض إلى رمال وصخور.. ماتت بعد طول حياة!!

ود. دراز، يؤمن إيمانًا راسخًا أن تغيير وجه الصحراء، وإعادة الحياة إليها بالزرع والشجر وجداول الحياة هو أيضًا من صنع البشر، وهو يوصي بضرورة استغلال الأراضي المستصلحة الجديدة في نشر المراعي بدلاً من الحقول.

أثناء عملي طبيبًا بيطريًا بالجيش بمنطقة مرسى مطروح، تقابلت مع خبير بريطاني في نباتات الصحراء هو مستر براون»، وكان عمله مدير مصلحة البساتين وعرفت منه حقيقة غريبة، هي أن معظم مراعي استراليا التي تغرق العالم بالأغنام وبأصوافها

ولحومها، مستزرعة بنباتات نقل الإنجليز إليها بذورها من صحراء مصر العربية، وبالتحديد من ساحلها الشمالي الغربي، ومن أشهرها البرسيم البقولي الذي تزيد قيمته الغذائية للحيوان عن الشعير والغني بالبروتين، وأيضًا نبات القطف الذي يروى بماء تصل نسبة ملوحته إلى نصف ملوحة البحر!

7 - **د. مصطفى كمال طلبه:**

الحديث عن التنمية المستدامة يشير إلى قضية المياه.. إذنا نعاني في مصر بوصولنا إلى أدنى من خط الفقر المائي، ولا حل أمامنا للزراعة والشرب إلا بتحلية مياه البحرين الأبيض والأحمر، إن متر ماء النيل يكلف الدولة من 30 إلى 40 قرشًا وهي تبيعه أرخص، والمتر المكعب من مياه الشرب المعبأة ثمنه ألف جنيه؛ لأن اللتر يباع بجنيه، وتحلية ماء البحر ثمن الصفيحة منها جنيهًا كاملاً زمن الحديث 2002م).

لماذا.. لأننا نستورد الخلايا الشمسية، والألواح المكثفة للماء من الخارج بأسعار باهظة، والمهم أمامنا أن نوجه أفكار رجال المنطقة والبحث العلمي، لتصنيعها في مصر، ولنستعين في ذلك بعلمائنا في الخارج ونقدم لهم كل المغريات لينشئوا مصانع لأنفسهم تحقق أعلى الأرباح كما فعلت تايوان التي تصدر الآن سلعًا بقدر ما تصدر الصين كلها!

نريد أن «نعذب» ماء البحر بالطاقة الشمسية ليصل سعر الصفيحة إلى خمسة قروش فقط لاستخدامها في زراعة ملايين الأفدنة من شواطئنا.

والقضية ليست زراعية فقط، بل صناعية؛ لأننا يمكن أن نصدر هذه الخلايا ومستلزماتها إلى كل دول الصحراء في العالم، إنني أرى أن قضية تعذيب ماء البحر، وأيضًا استنباط المحاصيل التي تروى بماء البحر هي معادلة الحياة لأجيال مصر القادمة.

■■ المهندس حسين عثمان:

ومعادلته العبقرية لتعمير الصحراء

هو مؤسس مشروع الصالحية الزراعي، ثم مشروع دينا الزراعي الذي حقق نجاحًا ملحوظًا.. التقنية داخل هذه المزرعة على طريق القاهرة - الإسكندرية، سألته: تابعت نشاطك في الصالحية والآن في دينا، وأنا أعلم أن مشروع الصالحية تعرض لعثرات وعقبات.. قل لي ما هي الدروس المستفادة من الصالحية لصالح دينا؟ قال: ثلاثة دروس:

1- ألا ألجأ للبنوك مطلقًا في تمويل دينا.

2- ألا أبدأ أي إنجاز في المشروع إلا إذا كانت ميزانيته جاهزة وبالكامل على المائدة.

3- ألا ألجأ إلى الحكومة مطلقًا في أية خطوة من خطوات تنفيذ المشروع.

وأضاف: لعلك تسأل من أين يأتي التمويل إذا ابتعدنا عن السلف من البنوك؟

الإجابة: بعد أن أرهقتنا فوائد قروض البنوك وعرقلت عملنا بشدة، فكان أن لجأت إلى روابط واتحادات المصريين في استراليا وأمريكا وكندا وأوروبا وأغريتهم بشراء قطعًا من الأرض المستصلحة في حدود عشرين أو عشرة أفدنة تتوسطها فيلا دورين.. وفوق كل فدان بقرة فريزيان، هولشتين، وطمأنتهم بأن الشركة هي التي تتولى الحراسة والزراعة وتربية وحلب البقر، وبذلك حققت لهم حلم أن يكون لكل مصري مهاجر بيت ريفي يأوي إليه عند عودته وأرض زراعية عليها ثروة حيوانية تدر عليه دخلاً طيبًا، ووافقوا على ضخ أموالهم لصالح المشروع بعد أن ذللت لهم بالاتفاق مع رئيس الجمهورية مبارك) كل العوائق البيروقراطية.

وبعد امتلاك المصري المغترب لقطعة أرضه الزراعية المنتجة.. أغريته بشراء 200 فدان من الأراضي المستصلحة، بعد أن علم وتأكد ووثق في أن شركة دينا ستقوم بزراعتها

وبرعاية أبقارها، وقد كانت خطتي الجديدة التي أعلنت عنها منذ البداية تنص على توفير بقرة لكل فدان لضمان خصوبة الأرض بروث الأبقار، ولضمان دخل سريع ومتجدد من ألبان ولحوم وعجول الأبقار، ومن أهداف المشروع الطموحة التي تتحقق فعلاً دمج التصنيع الزراعي بالنشاط الزراعي.. أما عن الدرس الثاني فمن واقع التجربة العملية تبين أن أي نقص في تمويل أي نشاط كتربية الطيور مثلاً ينعكس سلبًا عليه وقد يطيح به كله، وأما الدرس الثالث فهو ينبع من المثل الشهير ما حك ظهرك سوى ظفرك! شركتنا تقوم بأي عمل وإن كان شق ورصف طرق أو إنشاء ملاعب، أو إقامة محطات كهربائية، حتى لا نصطدم بالروتين أو نتسلم أعمالاً بها عيوب، ونحن نعتمد على المياه الجوفية في الري ونأمل في توصيل مياه النيل ليمتد استصلاحنا للصحاري حتى ليبيا.

غادرت دينا، وأهم درس مستفاد في اعتقادي هو شعار: «بقرة لكل فدان».. وتمنيت أن يكون شعارًا لكل من يستصلح أرضًا صحراوية في مصر!